



أستاذنا ابن حسين رحمه الله: خواطر وذكريات

لي مع أستاذي الجليل محمد بن سعد بن حسين رحمه الله ذكريات جميلة ومواقف تستحق الذكر والتسجيل، فعلى مدى خمسة وخمسين عاماً لم تنقطع علاقتي معه أستاذاً ثم زميلاً وصديقاً ومرشداً استفدت من علمه، وشرفت بصحبته، ولقد أخلص لي في النصح والتوجيه، وكان رحمه الله، مثلاً للأستاذ المحب لتلاميذه الناصح لهم المتجاوب مع زملائه المندمج في العمل معهم.

وخلال هذه المدة الطويلة من الصحبة لم أره غاضباً أو مخاصماً، بل يكفي بالنصح والتوجيه حيناً، وبالعتاب تلميحاً حتى إذا تجاوز موقف العتاب عاد إلى صفائه وهدوئه.

وسأذكر هنا شيئاً من المواقف والذكريات، وسأعود في مقال لاحق لكتابة دراسة معمقة عن أدبه وفكره.



د. محمد بن عبد الرحمن الربيع^(*) - السعودية

ويوسف الملاحي، ومحمد بن قاسم، ومحمد الفوزان، وعبدالله المفلح، وعبد الرحمن الغريبي، وراشد الحديثي، وعلي الغيث، وأحمد السليمان، وغيرهم رحم الله من مات منهم، وأنعم بالصحة والعافية وطول العمر على الأحياء منهم، وكان لهم علينا أفضل فقد أحسنوا تعليمنا وتربيتنا.

في عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م التحقت بمعهد الرياض العلمي بعد حصولي على الشهادة الابتدائية، وكان أستاذنا ابن حسين من أوائل من درست عليهم في المعهد ضمن مجموعة من أساتذتنا الكرام الذين لهم فضل علينا، ومنهم الأساتذة: محمد بن حسين، ومحمد الجاسر، وعبدالله المنيف، وعبدالله الزايد،

(*) وكيل جامعة الإمام للبحث العلمي والدراسات العليا سابقاً.

وكان أستاذنا ابن حسين يدرّسنا مادة الأدب، وقد زرع فينا محبة الأدب الرفيع والشعر الجميل، وتعلمنا منه تذوق الجمال في نصوص الأدب، وحبّ إلينا قراءة كتب التراث الأدبي.

وفي عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م التحقت بكلية اللغة العربية وتخرجت فيها عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٦م، ودرّست في معهد مكة المكرمة عاماً واحداً انتقلت بعد ذلك في عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م إلى معهد الرياض العلمي مدرّساً، وكان كل من في المعهد - تقريباً - من المدرسين هم أساتذتي، فأصبح طالب الأمس زميلاً لهم اليوم، ولقيت منهم - وعلى رأسهم أستاذاي ابن حسين - كل ترحيب وتشجيع.

وكان المعهد العلمي شعلة نشاط، بل لا أبالغ إذا قلت: إنه بمثابة جامعة، وكان يديره بحزم - آنذاك - معالي الشيخ الدكتور عبدالعزيز السعيد الرئيس السابق لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتولى مكانته ثم إدارته بحكمة ونفاذ بصيرة معالي الشيخ الدكتور صالح بن سعود العلي رئيس هيئة الرقابة والتحقيق.

وإن أنس فلن أنسى تلك الجلسات العلمية والحوارات والنقاشات التي كانت تدور فيما كنا نطلق عليه الفسحة الطويلة أو فسحة الشاي، وكذلك في الرحلة الأسبوعية يوم الخميس إلى الأودية والشعاب الواقعة جنوب مدينة الرياض، وما كان يقوم به النادي الأدبي بالمعهد من نشاطات رائعة، وما كان يبده رواد النادي من قصائد وكلمات وتمثيلات، وما كان يصدر لهم من صحف حائطية، وكان أستاذنا ابن حسين واسطة العقد بين تلك النخبة المخلصة من الأساتذة وأولئك الشباب المتطلع إلى المستقبل من الطلاب النجباء.

ثم تفرقت بنا السبل فانتقلت إلى إدارة الجامعة، وسافر أستاذنا إلى مصر للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه، ثم التقينا مرة ثالثة في كلية اللغة العربية وفي قسم الأدب نتعاون في التدريس وفي النشاط وفي تطوير المناهج.

وكان الأستاذ الجليل والأديب الكبير الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين - رحمه الله - يرأس القسم، لكننا - نحن السعوديين - رغبتنا في أن يرأس القسم أحد السعوديين من أعضائه، ولم يكن هناك من هو أحق بها من أستاذنا ابن حسين، فكان من تقديرنا لرئيس القسم وهو من هو شأناً وعلماً محمد حسين أن تحدثنا إليه في رغبتنا في أن تتاح الفرصة لسعودي لتولي رئاسة القسم، فكان موقفه مشرفاً ومؤيداً، فانتخب أستاذنا ابن حسين رئيساً لقسم الأدب بالكلية عام (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) فأدار القسم بحكمة ومحبة وحرص على رضی الجميع، وتعاون الجميع للنهوض بالقسم وتطوير مناهجه.

لقد صحبت أستاذاي ابن حسين ما يزيد على خمسين عاماً منذ أن التحقت بمعهد الرياض العلمي عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م طالباً صغيراً، ثم زميلاً في التدريس بمعهد الرياض العلمي، ثم زميلاً له في التدريس بكلية اللغة العربية، وعرفت تعامله مع طلابه وزملائه، بل أساتذته وأصدقائه، فكان دمث الخلق، حسن المعاملة، بشوشاً مبسماً، متفائلاً في أحلك الظروف، صبوراً في أقسى المواقف؛ ولذلك أحبه الجميع وقدره، وظلت صلتهم به وصلته بهم عامرة بالود والمحبة، إن زاروه رحب بهم، وإن حالت ظروفهم دون التواصل معه سأل عنهم واتصل بهم، وكم قصرنا في حقه واعتذرنا له فقبل اعتذارنا برحابة صدر وود صادق وكريم خلق.



ولا ننسى أن نوّكّد دوره الفاعل في وضع مناهج الأدب السعودي في كلية اللغة العربية بالرياض، وتدرّيسه لتلك المواد في المرحلة الجامعية في الدراسات العليا في الكلية وخارجها، إذ تعاون مع الكليات المتخصصة في اللغة العربية، وأشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه التي تبحث في قضايا الأدب في المملكة، وكذلك شارك في مناقشة عدد آخر من الرسائل في هذا المجال؛ وبذلك أصبح له عدد من التلاميذ الذين خدموا الأدب السعودي، وواصلوا مسيرته الموفقة في هذا المجال.

كما أنشأ أستاذنا ابن حسين رحمه الله ندوة (النخيل) في منزله العامر، وكانت أغلب محاضرات الندوة ومداولاتها تدور حول الأدب في المملكة.

انتقل ابن حسين إلى جوار ربه بعد عمر حافل بالنشاطات والإبداعات، وحتى يبقى خالداً في ذاكرة الأجيال، فإني أطرح بعض الرؤى والأفكار؛ لعل أولاده الكرام البررة يجدون فيها ما يمكن

تنفيذها، ومنها:

١. إنشاء مركز ثقافي في بلده (عودة سدير) يضم مكتبته العامرة.
 ٢. إعادة طباعة كتبه، وطباعة ما لم يُطبع منها.
 ٣. إنشاء جائزة أدبية لطلاب الدراسات العليا الذين يُعدّون رسائل ماجستير ودكتوراه في الأدب السعودي.
 ٤. إصدار كتاب تذكاري عنه يعده زملاؤه وطلابه في كلية اللغة العربية.
- رحم الله أستاذنا ابن حسين وأسكنه فسيح جناته ■

استطاع أستاذنا ابن حسين في فترة دراسته في مصر أن يكوّن علاقات أدبية وثقافية مع عدد كبير من الأدباء والمثقفين المصريين، وأن يعرفهم على الأدب السعودي، وأن يشارك في ندوات كثيرة عن الفكر والثقافة في المملكة، فكان خير سفير لأدبنا في مصر، وقد انعكس ذلك على كتابات بعض الباحثين المصريين عن الأدب السعودي إذ زوّدهم ابن حسين بالمعلومات والمراجع، وشجّعهم على تقديم دراسات علمية عن الأدب والثقافة في المملكة.



وأستاذنا ابن حسين رائد من رواد الدراسات عن الأدب في المملكة، إذ بدأ يحاضر عنه في فترة مبكرة من حياته وهو مدرس بمعهد الرياض العلمي، ثم أصدر كتابه «الأدب الحديث في نجد» عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ثم توالى المحاضرات والكتب التي تخدم الموضوع بحيث أصبحت كتبه مراجع أساسية لا يستغني عنها أي باحث في الأدب السعودي.

يضاف إلى ذلك برامجه وأحاديثه الإذاعية الكثيرة جداً التي ركّز فيها على موضوعات الأدب في المملكة، بل خصّص لذلك برنامجاً تجاوزت حلقاته ألف حلقة، وهو برنامج «من المكتبة السعودية».